نزع القدسية عن النص القرآني والأنسنة عند الحداثيين

الباحث
حسين خضر عبادي العلياوي
جامعة المصطفى العالمية ـ كلية العلوم والمعارف
hussinalmilki318@gmail.com

De-sanctification of the Qur'anic text and humanization among modernists

Resercher
Hussein Khader Abadi Al-Ulayawi
Al-Mustafa International University - College of Science and Knowledge

الملخص:-

يهدف البحث التعرف على نزع القدسية عن القرآن الكريم والأنسة عند الحداثيين والرد عليها من كتب المفسرين الإمامية، وتأتي أهمية البحث من أن النص القرآني عند المسلمين نص مقدس في كل زمان ومكان، وهو يتجدد في المعنى وفي استنباط احكام الشريعة لكل زمان وظرف تمر به الامة الإسلامية، معرفة هؤلاء الحداثيين، والافتراءات التي اطلقوها على النص القرآني، تكمن مشكلة البحث في الاجابة عن السؤال الذي مفاده: كيف بدأ الحداثيين بنزع القدسية عن النص القرآني والأنسنة؟. استخدم الباحث منهج البحث الوصفي التحليلي لملائمته وطبيعة البحث، لكي يتوصل الباحث في مقالته إلى النتائج المطلوبة.

الكلمات المفتاحية: نزع، القدسية، النص القرآني، الأنسنة، الحداثيين

Abstract:-

The aim of this research is to identify the de-sanctification of the Holy Quran and its intimacy with modernity, and to respond to it from the books of Imami commentators. The importance of this research stems from the fact that the Quranic text is sacred to Muslims in all times and places, and it is constantly being renewed in its meaning and derivation of Sharia rulings for every situation and event that the Islamic nation experiences. This research aims to identify these modernists and the slander they have launched against them The Qur'anic text, and the research problem lies in answering the question: How did modernists begin to strip the Qur'anic text of its sanctity and humanization? The researcher used the descriptive analytical research method because it is appropriate to the nature of the research, so that the researcher can reach the desired results in his article

Keywords: desacralization, Quranic text, humanization, modernists.

المقدمة:ـ

لقد اكتمل الإسلام بآخر آية نزلت من القرآن ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسلام دِينًا﴾ (سورة المائدة، الآية، ٣) ومنذ ذلك الحين فهم المسلمون أن رسالة الإسلام قد اكتملت وأن الوحي قد توقف وأن النص القرآني الذي بين أيديهم (كوثيقة) لا للتجميد والتحنيط والتبرك، بل هو مشروع حضارة ممتدة عبر الزمان والمكان والحال، قابل للقراءة والفهم وللتفسير والتأويل.

لقد كان النص عند المسلمين ومنذ البدء هو المنطلق وإليه الرجوع فقد سميت حضارة الإسلام بحضارة النص، فالتراث الإسلامي على اختلاف مشاربه ومناهجه وعلومه النص فيه لا يمثل مرجعية أو مقياسا فحسب بل هو الحكم وهو السلطة الفاصلة عند كل اختلاف وأثناء كل قراءة أو فهم أ و تفسير أو تأويل.

تشير الدراسات الحداثية للنص القرآني، الكثير من ردود الفعل، من قبل الباحثين الذين تصدوا لها، إما إقصاءً، أو تبنيًا مطلقًا، أو تبنيًا مع بعض التعديل.

المطلب الأول: مفهوم القدسية

القدسية لغةً (القُدس) سكون الدّال وضمّها- هو الطُّهْر، من النّاحية اللغوية، اسمٌ ومصدر، ومنه قيل للجَنّة: (حظيرة القُدس)، ورُوح القُدس: هو المَلاك جبريل. والتّقديس: التّطهير، والأرض المقدّسة: المطهّرة، ومنه بيتُ المقدس[١] ويُقال: إنّ (القادسية) دعا لها إبراهيم -عليه السلام- بالقُدس وأن تكون محلّة الحاج[٢] ويرى ابن فارس (ت: ٣٩٥هـ) أنّ «القاف والدّال والسّين أصل صحيح، وهو يدلّ على الطُّهْر»[٣].

فالتّقديس يُطلَقُ في اللغة إذا على معنيَيْن، ففي حقّ الله أطلق وكانَ بمعنى التنزيه، فقولك تقدّس الله، أي: تنزّه، فتقديسُ الله تنزيهُهُ كما قاله الخليل بن أحمد الفراهيدي، ومنه سُمّي اللهُ بالقدّوس كمَا وردَ في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿هُوَ اللهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوس﴾[٥]، أي: ننزّهُك عمّا لا يليق بِك. وتُطلَقُ ويرادُ بها التطهير وهو قريبٌ من المعنى الأول وربما عُبِّر بأحدهما عن الآخر في معاجم اللغة[٦]..

وأمّا في القرآن، فقد وردَت مشتقّاتُ الكلمة بمفهومٍ قريبٍ من المفهوم اللغويّ، أي: بمعنى التّنزيه، والمبارَك، والطُّهْر، والتّعظيم، والتّمجيد، في مثل: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾[٧]، وفي قوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ﴾[٨] وفي الآية: ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾[٩]، وفي غيرها من الآيات[١٠].

وقدسيّةُ النصّ القرآني راجعةٌ إلى «الخطاب ذاته ومصدره»، حيثُ إنّ الله - بحسب الصّفات الجماليّة والجلالية التي يتصفُ بها- مطلقٌ في الكمال، ومنزّهٌ عن كلّ عيبٍ ونُقصان، وهو ما يدعو إلى تقديسه وتقديسِ ما يصدرُ عنه، وأمّا بالنسبة إلى الخطاب والنصّ الحاوي له، فمن بابِ الملازَمة. فإنّ القدسيّة بالنسبة إلى الله أمرٌ ذاتيٌّ ولا يحتاجُ إلى دليل؛ إذ إنه من قَبيل القضايا التي قياسها معها؛ ولذلكَ نجد أنّ القرآن لا يقيمُ دليلًا على صفات الله، وإنما يقيم الدّليل على وجوده (تعالى)، وبعد ثبوته، فإنه لا يمكن أن يثبت إلا وهو موجدٌ لجميع الصفات، وعليه، فإنّ الحديثَ القرآني عن صفات الله من باب التّعريف والإخبار، وأمّا القدسية بالنسبة إلى الآخرين، بما فيهم الأنبياء والمرسلون، فتحتاج إلى الدليل؛ ولذلك نجد في القرآن التركيز على وجوب طاعة النبي ﷺ والتقيّد بأوامره ونواهيه[١١].

شَغَل النصُّ القرآني عنايةَ الدّارسين في القديم والحديث، فكانَ جُلُّ عنايتهم فَهْمَه، والإحاطةَ بأسراره، فوجّهُوه توجيهاتٍ متعددةً بما يتّفقُ مع قداسته، وخصوصيته القارّة فيه، ومقاصده الكُبرى، فأغنَت تأويلاتُهم الدّرْسَ اللغويّ فضلًا عن إغنائها الثّقافةَ الإسلاميّة.

وقد اكتسب النصُّ القرآني في المنظومة المعرفية الإسلامية أهمية منقطعة النّظير؛ فالعلوم الإسلامية كلّها نشأت وتشكّلَت لفَهْمه، والتّفريع عليه، وتثويره، وبناء منظومة معرفيّة منبثقة عنه، تروم إظهار بيانه، وخدمته، باعتباره النصّ المؤسّس، بالتّأمل في نصوصه، وبيانِ كيفية التّعبّد بها، وكيفية اعتمادها موجّهة لمختلف أعمال المسلِم؛ ولذلك صار محلّ اهتمام متميز في الخطابِ الحداثي العربيِّ المعاصر.

ويرى الحداثيين - بدرجات مختلفة- أنّ نصوص الشريعة تراث أكثر من أن تكون وحياً، وعند حديثنا عن رؤى الحداثيين في نصوص القرآن فإنها لا تنفك عن منظومة الفكر العام، والرؤية الشاملة للحداثيين عن الدين بأسره، وإن كانوا تقصّدوا القرآن وأحاديث

الصحيحين بشكل أساسي؛ كونها مما تلقته الأمة بالقبول، وليس لطائفة أن تدعي تملصها من الاعتراف بأيّ من تلك النصوص، ورد دعاوى الحداثيين بتضعيف ذلك النص.

وقد ألمح أبو زيد لذلك عند قوله: ((إنّ النصّ القرآني احتلّ في الثّقافة الإسلامية مركز الدّائرة، واعتبر الكشف عنه كشفًا عن آليات إنتاج المعرفة؛ لأنّ النصّ الديني صار المولّد لكلّ أو لبعضِ أنماط النّصوص))[١٢].

ومن أهم الأسئلة في هذه الدراسة، ماذا تعني قداسة القرآن؟ والجواب هنا عن هذا التساؤل ليس سهلاً، فقد كتب عنه الباحثون والدارسون الكثير، ليسَ بسبب بُعدها الدّيني والمعرفي فحَسْب، وإنّما الاجتماعي أيضًا كما يقرّر ذلك الباحث محمّد مصطفوي[١٣].

والحديث عن قداسة النصّ القرآني يأخذ أهميته لاعتبارات عدّة، منها بيان حُجج مَن تسمّى بالمدرسة العقليّة الحديثة، التي ترى - في غالبها - أنّ النصّ القرآني منذ لحظة نزوله تحوّلَ من كونه (نصًا إلهيًا) وصار فَهْمًا (نصًا إنسانيًا). وأنّ النصّ كان مقدّسًا في مستواه الوجودي الأول، أي: وجوده الميتافيزيقي، وهو كذلك حينما أُنزِل منجّمًا على النبيّ ﷺ، لكن مباشرةً بعد لحظة نُزوله على النبي ﷺ بلحظة تقاطع الميتافيزيقا مع التاريخ، عندها مالَ النصّ إلى التّشظّي، فَقَدَ قدسيته وصار نصًا تاريخيًا، وهو ما عبّر عنه الطيّب تيزيني، وساعته فَقَدَ قدسيته وصار نصًا تاريخيًا،في حين أنّ النصّ القرآني تحوّل من كونه (نصًا إلهيًا) إلى (خطاب مُعْجِز) لا يمكن التّعاطي معه أو فهمه إلا من خلال خاصيّة الإعجاز، وهي خاصيّةٌ قامَت على الخَرْقِ والإبداع بحسَب قواعد اللغة ونظامها[١٤].

وقد وَظّفَ المسلمونَ وتعاملوا مع النصّ القرآني باعتباره (مقدّسًا) في ذاته؛ وذلك لطبيعته: فهو كلامُ الله -عزّ وجلّ،- فقدسيته من مصدره، كما أنّ قدسيته في بيان الحقيقة العليا التي هي الأُلوهية كما بيّنَها النصُّ الكريم. وتوظيف هذا النصّ والتّعامُل معه في الحياة الإسلامية مما تضمّنه النصُّ ذاته؛ ولذلك حدّد القرآن كيف يتعامل معه، كما حدّدَت السُّنة النبوية كيفية التّعَامُل معه أيضًا، ويكون ذلك عملًا مقدّسًا؛ أي: عبادة يُؤجَر عليها المسلِم[١٥].

أما الحداثيين تتوجه رؤيتهم حول القدسية للقرآن الكريم، والتي تميز بها النص القرآني، ليست نابع منه، أنما هي تاريخية، فعند نصر حامد أبو زيد - مثلاً- (يعتبر أن النص القرآني طرأ عليه تحول فبعد ما كان في أصله الطبيعي " نصاً لغوياً" تحول إلى شيءٍ له قداسه

بوصفه شيئاً؛ أي: حينما تحول المصحف إلى أداةٍ للزينة))[١٦] ونفهم من هذا القول أن قدسية النص ليست ذاتية، بل أضيفت اليه - على حد قوله - وهذا الموقف والرؤية نجدها تتكرر في الخطاب الحداثي، وما ذهب اليه كثير من الحداثيين أمثال محمد أركون وعزيز العظمة، والطيب تيزيني، وغيرهم، وشذ عن هؤلاء هشام جعيط، فقال بقدسية القرآن الكريم واعتبره مقدساً بالمعنى الدقيق للكلمة سواء آمَن الإنسان بمصدره الإلهي أم لم يؤمن[١٧]، وإن كان يبدو أنّ جعيط خلال إثباته لقدسية النصِّ القرآني يريد ربطه بالكتابِ المقدّس في إطار علمِ مقارنةِ الأديان.

ويقول طيّب تيزيني عن النص القرآني من أنه: ((نص لغوي تاريخي مثل أي نص آخر، وكونه ذا أصل إلهي، لا يتيح النظر اليه على أنه ذو خصوصية منهجية تنأى به عن مناهج البحث العلمي المعتادة، لتلحّ على منهجٍ إلهيٍّ خاصٍّ به)) ولا يخفى التّصور الجليّ الذي ينطلقُ منه تيزيني في نظرته للقرآنِ الكريم، وعدم تحرُّجه من إخضاعه لمطارقِ النّقد، كأيِّ نصٍّ آخر؛ لأنه يرى أنّ القدسيّة ليست خاصيّة ذاتيّة في القرآن الكريم، بل هي خاصيّة مضفاة عليه في التّاريخ.

وقد صرح علي حرب، بأنّ من أهداف القراءة الحداثيّة، نزع القداسة عن النص، وقد عبّر عن ذلك بقوله: ((فكيف نقرأ النصوص قراءة نقدية تاريخية، ونزعم أنّنا لا ننزع عنها صفة التّعالي والقداسة؟ لا مجال إذا للمداورة والالتفات، بل الأحرى والأَوْلَى مجابهة المشكلة بدلًا من الدوران حولها))[١٨]، وبهذا التصوّر، فالنصّ القرآني ظاهرة تاريخيّة حدَثَتْ في زمنٍ ما، لا تحمل أيّ طابعٍ مقدّسٍ يلزمُ التّمَسُّك بها، وهذا ما يؤكّدُه هاشم صالح تلميذ أركون ومترجم كتبه، عند قوله: ((آنَ الأوانُ للكشفِ عن تاريخيّة النصّ القرآني وإنزاله من تعاليه الفوقي إلى الواقع الأرضي المحسوس، آنَ الأوانُ للكشفِ عن علاقته بظروف محدّدة تمامًا في شبه الجزيرة العربية وفي القرن السابع الميلادي))[١٩]. وأحاديث بعض الحداثيين متضافرة على نزعِ القداسة عن النصِّ القرآني، وإنْ بدرجاتٍ متفاوتةٍ بينهم، وفي هذه المقالة نحاول تناول بعض الدّعاوَى التي تنزع القداسة عن القرآن الكريم، ونقاشها بما يسمحُ به المقام.

وقد انتهج الحداثيين أسلوب الدعوة إلى نزع القداسة من النصوص القرآنية، إلى حد

أنهم استبدلوا كل المفاهيم والمصطلحات القرآنية التي تعبر عن قداسة القرآن الكريم بالمصطلحات النقدية العربية، ولعل من أبرز هذه المصطلحات استبدال مصطلح الوحي والقرآن الكريم بمصطلح أخر مثل: الحدث التاريخي، أو الظاهرة القرآنية، أو المدونة الكبرى، أو الخطاب النبوي، واستبدلوا نزول القرآن بالواقعة القرآنية، واستبدال اسم المصحف بأسماء أخرى مثل: المدونة، أو النص الرسمي المعلق، واستبدال مصطلح الآية القرآنية بالعبارة اللغوية أو المنطوقة.. الخ[٢٠].

والهدف دائما من محاولة نوع القداسة عن القرآن الكريم وهو الأمر الذي أكده مترجم كتب أركون قال: ((إن أركون يفضل استخدام هذه المصطلحات للتحدث عن القرآن بسبب أنه يريد تحييد الشحنات اللاهوئية التي سرعان ما تستحوذ على وعينا، عندما نتحدث عن القرآن فالقداسة اللاهوتية أو الهيبة اللاهوتية العظمى التي تحيط بالقرآن منذ قرون تمنعنا من أن نراه كما هو أي: كنص لغوي مؤلف من كلمات وحروف وتراكيب لغوية ونحوية وبلاغية، بمعنى آخر أن المادة اللغوية للقرآن اختفت تماماً أو غابت عن أنظارنا بسبب الالهية العظيمة التي تحيط به))[٢١].

وفيها أوردته من نصوص الحداثيين بشأن نوع القداسة من نصوص الوحي، ما يدل على هذا الامر، وان كان مآل الكثير من أطروحات التيار الحداثي، فإنه هدف مقصود بذاته لدى كثير منهم، وجلاء خطورة هذه الدعوة على القرآن والسنة، وما يترتب عليها من نتائج، تكمن في أنها تدمر مسلمات الدين وتراثه، ((فهي عندما تنجح في إزالة هيبة نصوص الوحي وعظمتها وقداستها المستمدة من عظمة مصدرها وهيبة قداسته، لا يصبح ثمة حاجة للبحث في موثوقيتها وصحتها، وطرق تلقيها ووسائل فهمها، ومدى حجتها؛ لكونها - وبكل بساطة - مجرد نصوص كتب كما كتب غيرها، ونُقلت كما نقل غيرها من الكتب والمؤلفات التي صاغها البشر على مختلف العصر والأزمان))[٢٢].

إن دعوى نزع القدسية عن القرآن الكريم انطلقت من دعوى نفي مصدره الإلهي، والتعامل معه بوصفه نصاً بشرياً شأنه شأن أي نص بشري آخر، ولا شك أن القرآن إذا استقبلت دراسته على هذا النحو؛ فقد اقتحمت قدسيتُه، وانهدم مبدأ المرجعية لنصوصه، وزالت عن نفوس الناس ضرورة تحكيمة في حياتهم، وتزلزلت قضاياه في كل ما تناوله من

عقائد وترشيح أخباره، وسهل عزله من أن يكون له أثر حي في واقع الأمة؛ وذلك لأن نصوص القرآن الكريم إنما تستمد قداستها - أصلاً - من ربانية مصدرها، وبهذا الاثبات وردت آيات كثيرة في القرآن الكريم منها قوله تعالى: ﴿الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾[٢٣] وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾[٢٤] وقوله تعالى: ﴿لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[٢٥].

المطلب الثاني: نظرية الأنسنة:

تعد نظرية الأنسنة من أهم الأسس التي استخدمها التيار الحداثي في التعامل مع القرآن الكريم ويقصد بها: ((نقل الآيات القرآنية من الوضع الإلهي إلى الوضع الإنساني))[٢٦].

ويصف بعض الحداثيين جمع القرآن بأنه عملية مخترقة، وأن القرآن الكريم خضع أثناء جمعه لعمليات تأثرت بالمصالح السياسية المتصارعة فأدت إلى احتراق متنه زيادة ونقصاناً.

إن القول بأنسنة النص القرآني، ودعوى تحوله من الصفة الإلهية إلى الصفة البشرية، يُعد من قبل الاحتيال لإنكار قدسية القرآن الكريم، فعوضاً عن الجدل في اعتبار القرآن الكريم مقدساً أم لا، تبدو هذه الدعوى حلاً وجدوه الحداثيين مقنعاً لا يصادم الإجماع على قدسيته؛ فهو إذا مقدس، لكن لما نزل على النبي - ﷺ - تحول من كونه نصاً إلهياً مقدساً، إلى كونه نصاً بشرياً غير مقدس.

وعن هذا التحول ترى إحدى منظرات الحداثة ((أن القرآن كلام الله، غير أنه لم ينزل على النبي - ﷺ - بصفته الآولى، بل تحول إلى كلام بشري بواسطة جبريل - عليه السلام -))[٢٧].

وفي تصور الحداثيين عن طريق نظريتهم بأنسنة القرآن الكريم تعني أن مضمون القرآن لَما كان في اللوح المحفوظ قبل أن يُهبط به على النبي - ﷺ -، كان إلهياً في معانيه وقراراته وأحكامه، فلما نزل إلى الأرض ووعتهُ اسماع الناس، أختفى منه ذلك المضمون - حسب نظريتهم - وأفرغت منه معاني آخرى تتناسب وبشرية الناس وتتسق مع اجتهاداتهم وظروفهم... فيتبنون في نظريتهم بإن القرآن دخله تصحيح عندما تحول من سماء الربوبية ليصبح خطاباً للناس، ورد على هذه النظرية التي جاء بها الحداثيين قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[٢٨] وقال السيد الطباطبائي (ت: ١٤٠٢هـ): ((والمعنى على هذا والله

أعلم ان هذا الذكر لم تأت به أنت من عندك حتى يعجزوك ويبطلوه بعنادهم وشدة بطشهم وتتكلف لحفظه ثم لا تقدر وليس نازلا من عند الملائكة حتى يفتقر إلى نزولهم وتصديقهم إياه بل نحن أنزلنا هذا الذكر انزالا تدريجيا وانا له لحافظون بما له من صفة الذكر بما لنا من العناية الكاملة به))[٢٩]. فالآية تدل على كون كتاب الله محفوظا من التحريف بجميع أقسامه من جهة كونه ذكرا لله سبحانه فهو ذكر حي خالد. وذلك أن الآية بقرينة السياق انما تدل على حفظ الذكر الذي هو القرآن بعد انزاله إلى الأبد ولا دلالة فيها على علية الذكر للحفظ الإلهي ودوران الحكم مداره.

ويدعي الحداثيين - زوراً - أن القول ببشرية النص القرآني أمر تفرضه دواعي البحث العلمي، وأن النص إذا لم يكن بشرياً لما استوعبه البشر، ووقفوا على مراده، وبالتالي فإن ((الهبوط بالإلهي إلى الأرض ليس هبوطاً أخلاقياً فاسداً، وإنما هو فعل تفرضه الحاجة العلمية، تلك التي تعالج البشري، أو ما يخص الأرض في تلك النصوص، لأننا لا نستطيع أن نطبق مناهجنا إلا على المحسوس والملموس والمادي))[٣٠].

إن الحداثيين يعتبرون النص القرآني مجرد نص أنتج وفق المقتضيات الثقافية التي تنتمي إليها اللغة، ولا يمكن أن يفهم أو يفسر إلا بالرجوع إلى المجال الثقافي الذي انتجه[٣١].

وهذا ما شدد عليه نصر أبو زيد بقوله: ((إن النصوص الدينية ليست في التحليل الأخير سوى نصوص لغوية، بمعنى أنها تنتمي إلى بنية ثقافية محددة تم إنتاجها طبقاً لقوانين تلك الثقافة التي تعد اللغة نظامها الدلالي المركزي))[٣٢].

وبالتالي فنحن - على حد تعبيرهم -ليس أمام نص قرآني مقدسٍ، وإنما نحن أمام نص بشري أنتجه النبي - ﷺ - ويعامل كغيره من النصوص البشرية، ويخضع لكل المناهج النقدية، فالنص القرآني وإن كان نصاً مفارقاً للبيئة الثقافية التي تعامل معها، من حيث كونهُ مصدره إلهياً، فإن المصدر الإلهي - كما يدعي الحداثيين- لا يلغي إطلاقاً حقيقة كونه نصاً لغوياً، تشكل بلغة بشرية، ترتبط بزمان ومكان محددين، فالنص القرآني - كما يقول طيب تيزيني: ((بقدر ما يؤكد على انتمائه إلى السماء ينبغي عليه أن يلتصق بالأرض التصاقاً ومشخصاً، محققاً بذلك عملية تجادل بين المطلق والزمني، والغيبي والإنساني والوحي والتاريخ))[٣٣].

إن الترتيب لدى الحداثيين على القول ببشرية النص القرآني، بإدعائهم أنه ليس خاصاً

بالمسلمين فقط. وإنما هو للناس جميعاً شأنه شأن أي نص آخر يتعامل الناس معه، وفي ذلك يقول أحدهم: ((القرآن كتاب العرب والمسلمين، وهو عماد الثقافة العربية، وأهم ركيزة من ركائز التراث العربي، وأعني هنا العرب بغض النظر عن ديانتهم سواء أكانوا مسلمين أو مسيحيين أو حتى من لادين لهم))[٣٤].

ودعا أركون إلى أنسنة القرآن الكريم وهي الدعوة التي تقدس الإنسان لذاته وتعده مركز الكون ومحور القيم وتفرق بذلك بين المركزية الإنسانية والمركزية الإلهية وبذلك يعتبر أركون ((أن مشكلة المسلمين اليوم هي في إيمانهم بأن الله هو مركز الكون ومصدر التشريع))[٣٥]، وبذلك يعتبر أركون أن القرآن الكريم كتاباً إنسانياً من صنع البشر حتى تنزع منه القداسة والإحكام والديمومة مخالفاً النص الصريح: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[٣٦] ويدعوان يكون لكل فرد فهمه وتفسيره وتأويله كيفما أتفق بحيث الحالة والظرف الزماني والمكاني والمقتضيات وفي ذلك يقول بفعل التبديل والتحريف (إن القرآن ليس إلا نصا من جمله نصوص أخرى تحتوى على نفس مستوى التعقيد والمعاني الغوارة الغزيرة: كالتورا ة والإنجيل والنصوص المؤسسة للبوذية والهندوسية وكل نص تأسيسى من هذه النصوص الكبرى حظى بتوسعات تاريخية معينة وقد يخطى بتوسعات تاريخية أخرى في المستقبل)[٣٧]. وهكذا فإن النص القرآني وفق منظور أركون (قد تأسس منذ أن تلاه الرسول ﷺ ليتحول من كتاب تنزيل إلى كتاب تأويل والمصدر الإلهي للنصوص لا يخرجها عن كونها نصوصاً بشرية لأنها تأنسنت والنص الخام المقدس الا وجود له لأن الكلام الإلهي المقدس لا يعنينا إلا منذ اللحظة التي تموضع فيها بشرياً))[٣٨].

آراء العلماء الإمامية في تحريف القرآن الكريم والنقص والزيادة وقداسته:

رأي السيد البروجردي الطباطبائي:

قال الشيخ لطف الله الصافي عن أستاذه آية الله السيد حسين البروجردي (فإنه فاد في بعض أبحاثه في الأصول كما كتبنا عنه، بطلان القول بالتحريف، وقداسة القرآن عن وقوع الزيادة فيه، وأن الضرورة قائمة على خلافه، وضعف أخبار النقيصة غاية الضعف سندا ودلالة. وقال: وإن بعض هذه الروايات تشتمل على ما يخالف القطع والضرورة، وما يخالف مصلحة النبوة. وقال في آخر كلامه الشريف: ثم العجب كل العجب من قوم

يزعمون أن الأخبار محفوظة في الألسن والكتب في مدة تزيد على ألف وثلاثمائة سنة، وأنه لو حدث فيها نقص لظهر، ومع ذلك يحتملون تطرق النقيصة إلى القرآن المجيد)[٣٩].

رأي السيد محمد هادي الميلاني:

(الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى. أقول بضرس قاطع إن القرآن الكريم لم يقع فيه أي تحريف لا بزيادة ولا بنقصان، ولا بتغيير بعض الألفاظ، وإن وردت بعض الروايات في التحريف المقصود منها تغيير المعنى بآراء وتوجيهات وتأويلات باطلة، لا تغيير الألفاظ والعبارات. وإذا اطلع أحد على رواية وظن بصدقها وقع في اشتباه وخطأ، وإن الظن لا يغني من الحق شيئا)[٤٠].

رأي السيد محمد رضا الكلبايكاني:

(وقال الشيخ لطف الله الصافي دام ظله: ولنعم ما أفاده العلامة الفقيه والمرجع الديني السيد محمد رضا الكلبايكاني بعد التصريح بأن ما في الدفتين هو القرآن المجيد، ذلك الكتاب لا ريب فيه، والمجموع المرتب في عصر الرسالة بأمر الرسول - ﷺ -، بلا تحريف ولا تغيير ولا زيادة ولا نقصان، وإقامة البرهان عليه: أن احتمال التغيير زيادة ونقيصة في القرآن كاحتمال تغيير المرسل به، واحتمال كون القبلة غير الكعبة في غاية السقوط لا يقبله العقل، وهو مستقل بامتناعه عادة)[٤١].

رأي السيد محمد حسين الطباطبائي:

(فقد تبين مما فصلناه أن القرآن الذي أنزله الله على نبيه ﷺ ووصفه بأنه ذكر محفوظ على ما أنزل، مصون بصيانة إلهية عن الزيادة والنقيصة والتغيير كما وعد الله نبيه فيه. وخلاصة الحجة أن القرآن أنزله الله على نبيه ووصفه في آيات كثيرة بأوصاف خاصة لو كان تغيير في شئ من هذه الأوصاف بزيادة أو نقيصة أو تغيير في لفظ أو ترتيب مؤثر، فقد آثار تلك الصفة قطعا، لكنا نجد القرآن الذي بأيدينا واجدا لآثار تلك الصفات المعدودة على أتم ما يمكن وأحسن ما يكون، فلم يقع فيه تحريف يسلبه شيئا من صفاته، فالذي بأيدينا منه هو القرآن المنزل على النبي - ﷺ - بعينه، فلو فرض سقوط شئ منه أو إعراب أو حرف أو ترتيب، وجب أن يكون في أمر لا يؤثر في شئ من أوصافه كالإعجاز وارتفاع الاختلاف، والهداية، والنورية، والذكرية، والهيمنة على سائر الكتب السماوية، إلى غير ذلك، وذلك

كآية مكررة ساقطة، أو اختلاف في نقطة أو إعراب ونحوها)[٤٢].

رأي السيد أبو القاسم الخوئي:

(... إن حديث تحريف القرآن حديث خرافة وخيال، لا يقول به إلا من ضعف عقله أو من لم يتأمل في أطرافه حق التأمل، أو من ألجأه إليه حب القول به، والحب يعمي ويصم. وأما العقل المنصف المتدبر فلا يشك في بطلانه وخرافته)[٤٣].

رأي الشيخ لطف الله الصافي:

(القرآن معجزة نبينا محمد ﷺ وهو الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، قد عجز الفصحاء عن الإتيان بمثله، وبمثل سورة أو آية منه، وحير عقول البلغاء، وفطاحل الأدباء... وقد مر عليه أربعة عشر قرنا، ولم يقدر في طول هذه القرون أحد من البلغاء أن يأتي بمثله، ولن يقدر على ذلك أحد في القرون الآتية والأعصار المستقبلة، ويظهر كل يوم صدق ما أخبر الله تعالى به فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا.. هذا هو القرآن، وهو روح الأمة الإسلامية وحياتها ووجودها وقوامها، ولولا القرآن لما كان لنا كيان. هذا القرآن هو كل ما بين الدفتين ليس فيه شئ من كلام البشر وكل سورة من سوره وكل آية من آياته، متواتر مقطوع به ولا ريب فيه. دلت عليه الضرورة والعقل والنقل القطعي المتواتر. هذا هو القرآن عند الشيعة الإمامية، ليس إلى القول فيه بالنقيصة فضلا عن الزيادة سبيل، ولا يرتاب في ذلك إلا الجاهل، أو المبتلى بالشذوذ الفكري)[٤٤].

الخاتمة:ـ

استوردَت المدرسةُ العقليةُ الحداثيةُ المناهجَ الحديثةَ، وعملوا جاهدين في الدّعوة إلى توظيفها وتطبيقها على نصوص القرآن الكريم مطلقًا؛ دونَ اعتبار ولو من بعيد للقواعد والأصول المنهجيّة، وقدسية النص، والمحدّدات والضّوابط المرجعية المرعيّة. وبهذا، يتبيّن للقارئ أنّ التأويلات المعاصرة للقرآن الكريم تدور حول النصّ القرآني ولا تقربه، فَلا تَتّخذُ بالضّرورة منهجًا لقراءة النصّ القرآني؛ لأنها لا تتمتع بمرجعيّة كافية تُبوّئها المقْعَد اللائق في تفسير دلالات النصّ وتأويلها، إلّا بالقدر الذي تلتزم بخصوصيّة هذا النص.

هوامش البحث

(١) ينظر: مختار الصحاح، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، بيروت- صيدا: المكتبة العصرية- الدار النموذجية، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م)، ط،٥ ص٢.

(٢) ينظر: مختار الصحاح، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، ص٢٤. المصادر

(٣) معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السّلام محمّد هارون، (بيروت: دار الفكر، ١٩٧٩م، (/٥ ٦٣).

(٤) ينظر: دَرْج الدُّرر في تَفسير الآيِ والسُّوَر، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الجرجاني، دراسة وتحقيق: (الفاتحة والبقرة) وَلِيد بن أحمد بن صالِح الحُسَيْن، (وشاركه في بقية الأجزاء): إياد عبد اللطيف القيسي، (مجلة الحكمة، بريطانيا: ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م)، ط،١ (/١ ٣٥٥).

(٥) سورة الحشر:٢٣

(٦) يقول طه جابر العلواني: تشير -الآية- إلى عملية الوصول إلى المعنى، وليس اللّمس الحسّي كما ذهب إلى ذلك بعض الفقهاء. وإنما مسُّ المعنى المكنون والوصول إليه، وقد وضَعَ الله - تبارك وتعالى - كلمة: (المطهّرون)، بصيغة اسم المفعول لكي ينبّه إلى أنّ عملية التطهير تجري من الخارج، يعني المطهّر هو من طَهّرَه غيره. ذلك يعني أنّ المطهّرين هم أولئك الذين طهّرهم الله -تبارك وتعالى- وهيّأ عقولهم وقلوبهم ووجدانهم لِلَمْسِ معاني القرآن الكريم والوصولِ إليها. ينظر: تفسير القرآن بالقرآن، طه جابر العلواني (فرجينيا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ٢٠٢٠)، ط١ ص٣١ (٧) سورة البقرة: ٣٠

(٨) سورة الحشر: ٢٣

(٩) سورة طه: ١٢

(١٠) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمّد شاكر، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ= ٢٠٠٠م). (/١ ٥٠٦)؛ زاد المسير في علم التفسير، أبو الفرج عبد الرحمن بن عليّ بن محمد الجوزي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٢٢هـ)، ط،١ (/١ ٥١)

(١١). ينظر: أساسيات المنهج والخطاب في درس القرآن وتفسيره، مصطفوي، ص٢٨٠.

(١٢) النصّ والسلطة والحقيقة، نصر حامد أبو زيد، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ١٩٩٥)، ط١، بيروت، ص١٠.

(١٣) ينظر: أساسيات المنهج والخطاب في درس القرآن وتفسيره، محمد مصطفوي، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، ٢٠١٧، ط،٢، بيروت، ص٢٧٩.

(١٤) ينظر: أنسنة النصّ القرآني عند الحداثيين النظام اللغوي (عربية النصّ) أنموذجًا، حاكم حبيب الكريطي، حكيم سلمان السلطاني، (د.م)، ص١٢.

(١٥) ينظر: إشكالية تاريخية النص الديني في الخطاب الحداثي العربي المعاصر، مرزوق العمري، (بيروت: منشورات ضفاف، ٢٠١٢)، ط،١ ص٢٥.

(١٦) مفهوم النص، نصر حامد أبو زيد (الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، بيروت، ٢٠١٤)، ط١، ص١٢.

(١٧) وذلك عند قوله: «القرآن، إذن، كتابٌ مقدّس بالمعنى الدقيق للكلمة، سواء آمَن بألوهيته الإنسان - المسلمون وحتى غيرهم- أم لم يؤمن، فاعتبره تراثًا دينيًا يدخل بالتالي في سلسلة الكتب المقدّسة المعتمدة على علاقة مع الإله، أي: على وحي. على أنّ مفهوم الكتاب المقدس أوسع من مفهوم الكتاب الموحَى به révélé؛ لأنّ الأديان مثل البوذية ما يستبعد فكرة الإله جملة». ينظر: في السيرة النبوية القرآن والوحي والنبوة، هشام جعيط، (بيروت: دار الطليعة، ١٩٩٩)، ص١٨

(١٨) نقد النص، عليّ حرب، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٥، ص.٧٧

(١٩) الإسلام والانغلاق اللاهوتي، هاشم صالح، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠١٠، ص.٣٧٥

(٢٠) الإسلام والانغلاق اللاهوتي، هاشم صالح، ص.٣٧٥

(٢١) القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، محمد أركون، ص١٩

(٢٢) موقف اللبرالية من البلاد العربية من محكمات الدين، صالح بن محمد بن عمر الدميجي، ص٣٨٢.

(٢٣) سورة هود، الآية ١.

(٢٤) سورة النمل، الآية٥

(٢٥) سورة فصلت، الآية ٤٢

(٢٦) روح الحداثة، طه عبد الرحمن، ص١٧٨.

(٢٧) تاريخية التفسير القرآني، ناثلة السليني الراضوي، ص١٦.

(٢٨) سورة الحجر، الآية ٩.

(٢٩) الميزان في تفسير القرآن، السيد الطباطبائي، ج ١٢، ص ١٠١

(٣٠) سلطة النص، عبد الهادي عبد الرحمن، ص٣٧.

(٣١) ينظر: روح الحداثة، طه عبد الرحمن: ص١٨.

(٣٢) نقد الخطاب الديني، نصر أبو حامد، ص١٨٠.

(٣٣) النص القرآني أمام اشكالية البنية والقراءة، طيب تيزيني،، ص١١٧.

(٣٤) المأزق في الفكر الديني بين النص والواقع، نضال عبد القادر صالح، ص٢١٨

(٣٥) نزعة الأسنة في الفكر العربي، محمد أركون، ترجمة هاشم صالح، ط١، دار الصافي، بيروت، ١٩٩٧، ص١٠.

(٣٦) سورة الحجر، الآية ٩

(٣٧) الفكر الأصولي واستحاله التأصيل، محمد أركون، ترجمة هاشم صالح "دار الساقى بيروت، ٢٠٠٣، ص٣٦.

(٣٨) المصدر نفسه، ص١١

(٣٩) حاشية على العروة الوثقى، السيد البروجردي الطباطبائي، مؤسسة أهل البيت عليهم السلام للطباعة والنشر، قم المقدسة، ايران، ط٢، ١٤٢٢هـ، ص٢٣٤.

(٤٠) تفسير سورة الجمعة والتغابن، محمد هادي الميلاني، ط١، مكتبة آباد حيدر، طهران، ١٤١٢هـ، ص١٢.

(٤١) الدر المنضود في الأحكام والحدود، محمد رضا الكلبايكاني، مؤسسة أهل البيت عليهم السلام للطباعة والنشر، قم المقدسة، ايران، ١٤٢٣هـ. ص١٣٢.
(٤٢) الميزان في تفسير القرآن، العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة الاعلمي للطباعة والنشر، قم المقدسة، ط٢، ١٤١٤هـ، ج١، ص٥.
(٤٣) البيان في تفسير القرآن، السيد أبو القاسم الموسوي الخوئي، مكتبة العمال المركزية، بغداد، ط١، ١٩٧٩، ج١، ص٢١.
(٤٤) بيان الأصول، تقريرات، درس آية الله السيد حسين البروجردي باللغة العربية، الشيخ لطف الله الصافي، مؤسسة جماعة المدرسين الحوزة العلمية، قم المقدسة، ١٤٢٨هـ، ص١١٢.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

١. أساسيات المنهج والخطاب في درس القرآن وتفسيره، محمد مصطفوي، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، ٢٠١٧، ط٢، بيروت.
٢. الإسلام وأسئلة العصر الكبرى، الطيب تيزيني، دار المسيرة، عمان الاردن، ط١، ٢٠٠٦.
٣. الإسلام والانغلاق اللاهوتي، هاشم صالح، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠١٠.
٤. إشكالية تاريخية النص الديني في الخطاب الحداثي العربي المعاصر،،مرزوق العمري، بيروت: منشورات ضفاف، ط١، ٢٠١٢.
٥. أنسنة النصّ القرآني عند الحداثيين النظام اللغوي (عربية النصّ) أنموذجًا، حاكم حبيب الكريطي، حكيم سلمان السلطاني، (د.م).
٦. بيان الأصول، تقريرات، درس آية الله السيد حسين البروجردي باللغة العربية، الشيخ لطف الله الصافي، مؤسسة جماعة المدرسين الحوزة العلمية، قم المقدسة، ١٤٢٨ هـ.،
٧. البيان في تفسير القرآن، السيد أبو القاسم الموسوي الخوءي، مكتبة العمال المركزية، بغداد، ط١، ١٩٧٩.
٨. تاريخية التفسير القرآني، نائلة السليني الرضوي، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٩.
٩. تفسير القرآن بالقرآن، طه جابر العلواني، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط١، ٢٠٢٠.
١٠. تفسير سورة الجمعة والتغابن، محمد هادي الميلاني، ط١، مكتبة آباد حيدر، طهران، ١٤١٢هـ.
١١. جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمّد شاكر، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ= ٢٠٠٠م.
١٢. حاشية على العروة الوثقى، السيد البروجردي الطباطبائي، مؤسسة أهل البيت عليهم السلام للطباعة والنشر، قم المقدسة، ايران، ط٢، ١٤٢٢هـ.
١٣. الخطاب الديني، نصر أبو حامد، دار المعارف للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ٢٠٠٣.

١٤. الدر المنضود في الأحكام والحدود، محمد رضا الكلبايكاني، مؤسسة أهل البيت ﷺ للطباعة والنشر، قم المقدسة، ايران، ١٤٢٣هـ.
١٥. درْج الدُّرر في تَفسِير الآيِ والسُّوَر، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الجرجاني، دراسة وتحقيق: (الفاتحة والبقرة) وَلِيد بن أحمد بن صالِح الحُسَيْن، (وشاركه في بقية الأجزاء): إياد عبد اللطيف القيسي، (مجلة الحكمة، بريطانيا، ط١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
١٦. روح الحداثة، طه عبد الرحمن: دار وائل للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ٢٠١١.
١٧. زاد المسير في علم التفسير، أبو الفرج عبد الرحمن بن عليّ بن محمد الجوزي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، (بيروت: دار الكتاب العربي، ط١، ١٤٢٢هـ.
١٨. سلطة النص، عبد الهادي عبد الرحمن، دار الرسالة، الكويت، ط١، ٢٠١٣.
١٩. الفكر الأصولي واستحاله التأصيل، محمد أركون، ترجمة هاشم صالح "دار الساقى بيروت، ٢٠٠٣.
٢٠. الفكر الأصولي واستحاله التأصيل، محمد أركون، ترجمة هاشم صالح "دار الساقى بيروت، ٢٠٠٣.
٢١. في السيرة النبوية القرآن والوحي والنبوة، هشام جعيط، بيروت: دار الطليعة، ١٩٩٩.
٢٢. القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، محمد أركون، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٩٩٩.
٢٣. المأزق في الفكر الديني بين النص والواقع، نضال عبد القادر صالح، دار وائل، عمان الاردن، ط١، ٢٩١٤.
٢٤. مختار الصحاح، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، بيروت- صيدا: المكتبة العصرية- الدار النموذجية، ط٥، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
٢٥. معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السّلام محمّد هارون، بيروت: دار الفكر، ١٩٧٩م.
٢٦. مفهوم النص، نصر حامد أبو زيد (الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، ٢٠١٤.
٢٧. موقف اللبرالية من البلاد العربية من محكمات الدين، صالح بن محمد بن عمر الدميجي، دار الوجود، الرياض، ط١، ٢٠٠٨.
٢٨. الميزان في تفسير القرآن، العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة الاعلمي للطباعة والنشر، قم المقدسة، ط٢، ١٤١٤هـ،
٢٩. الميزان في تفسير القرآن، السيد الطباطبائي، محمد حسين، دار احياء التراث الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ.
٣٠. نزعة الأسنة في الفكر العربي، محمد أركون، ترجمة هاشم صالح، ط١، دار الصافي، بيروت، ١٩٩٧.
٣١. النصّ والسلطة والحقيقة، نصر حامد أبو زيد، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ط١، ١٩٩٥.
٣٢. نقد النص، عليّ حرب، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٥.